سلسلة قصص الأخلاق

٢٠

قصص في الكرم

إعداد/ مصطفى أحمد علي

رسوم/ شمس السلاب

إخراج / علي بدوي

جميع الحقوق محفوظة

وَشَبِعَ الصِّغَارُ

فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ البَرْدِ، حَالِكَةِ الظَّلَامِ، جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى حَاتِمِ الطَّائِيِّ، وَكَانَ حَاتِمٌ مَضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الْجُودِ وَالكَرَمِ.

فَقَالَتَ لَهُ: جِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ أَوْلَادِي، وَهُمْ يَصِيحُونَ وَيَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، فَهَلْ أَجِدُ عِنْدَكَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسِدُّ جُوعَهُمْ؟.

فَقَالَ لَهَا: وَاللهِ لأُشْبِعَنَّهُمْ.

وَلَمْ يَكُنْ حَاتِمٌ يَمْلِكُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ شَيْئًا سِوَى فَرَسِهِ، الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا.

فَقَامَ مُسْرِعًا إِلَى فَرَسِهِ وَذَبَحَهُ. ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى نَضَجَ. ثُمَّ أَعْطَاهَا اللَّحْمَ، فَأَكَلَتْ وَأَكَلَ أَوْلَادُهَا حَتَّى شَبِعُوا جَمِيعًا.

حَقًّا لَقَدْ كَانَ حَاتِمُ الطَّائِيُّ رَجُلاً كَرِيمًا سَخِيًّا.

المَالُ وَالدَّارُ لَكُمْ

يُرْوَى أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ صَالِحٍ بَيْتٌ جَمِيلٌ، يَعِيشُ فِيهِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، تُرَفْرِفُ عَلَيْهِمُ السَّعَادَةُ ، وَيُحِيطُهُمُ الأَمْنُ، وَفِي إِحْدَى السِّنِينَ ، وَاجَهَتْهُ أَزْمَةٌ مَالِيَّةٌ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَبِيعَ دَارَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ وَاشْتَرَاهَا مِنْهُ ، وَدَفَعَ لَهُ ثَمَنَهَا.

وَتَسَلَّمَ الْمُشْتَرِي الدَّارَ ، وَسَكَنَ فِيهَا مَعَ أَهْلِهِ ، فَلَمَّا أَتَى اللَّيْلُ سَمِعَ بُكَاءً ، فَسَأَلَ أَهْلَهُ : مَا هَؤُلاءِ ؟.

فَقَالُوا : إِنَّهُمْ أَهْلُ الرَّجُلِ الَّذِي بَاعَ لَنَا الدَّارَ .

فَسَأَلَ الرَّجُلُ : وَلِمَاذَا يَبْكُونَ ؟

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُمْ يَبْكُونَ حُزْنًا عَلَى دَارِهِمْ الَّتِي اشْتَرَيْنَاهَا مِنْهُمْ !!

وَكَانَ هَذَا الْمُشْتَرِي تَقِيًّا كَرِيمًا ، فَرَقَّ قَلْبُهُ لِحَالِ أَهْلِ البَائِعِ ، فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ ، وَيُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ الْمَالَ وَالدَّارَ لَهُمْ جَمِيعًا .

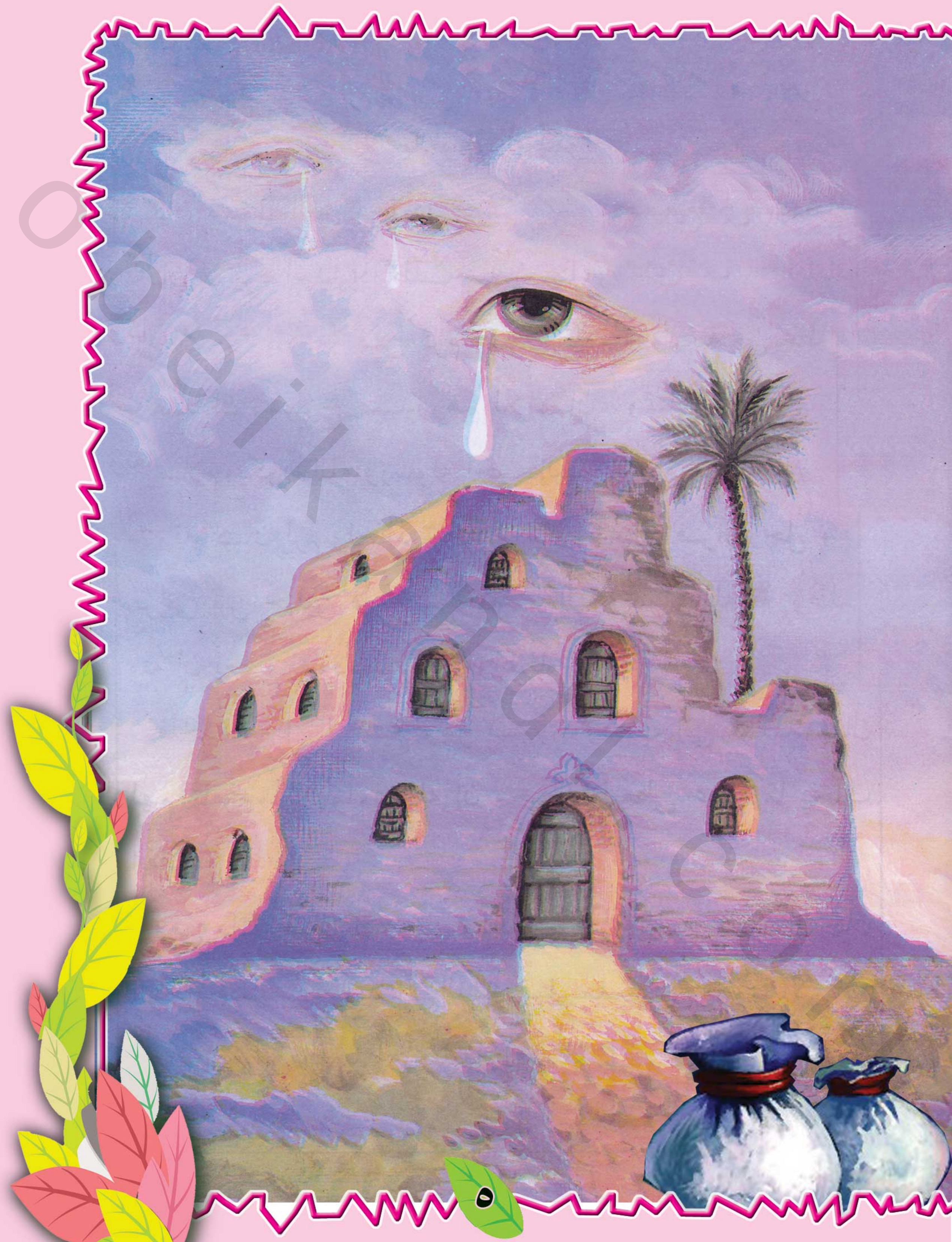

يَا قَوْمُ أَسْلِمُوا

كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَوَّادًا كَرِيمًا يُعْطِي الْجَمِيعَ فِي سَخَاءٍ، وَكَانَ لاَ يَرُدُّ أَحَدًا إِذَا طَلَبَ مِنْهُ شَيْئًا، وَقَدْ دَخَلَ بَعْضُ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ، طَمَعًا فِي كَرَمِ رَسُولِ اللهِ وَرَغْبَةً فِي عَطَائِهِ، وَبَعْدَ أَنْ تَنْشَرِحَ صُدُورُهُمْ لِلإِيمَانِ، وَتَمْتَلِئَ قُلُوبُهُمْ بِنُورِ الإِسْلاَمِ ، وَيَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا...

وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ قَطِيعٌ مِنَ الأَغْنَامِ، فَرَآهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَرْعَى بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْجَبَهُ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ لَهُ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ رَسُولِ اللهِ وَأَعْطَاهُ لَهُ.

فَأَخَذَ الرَّجُلُ القَطِيعَ وَذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ مَا يَخَافُ الفَقْرَ.

وَفِي ذَلِكَ قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

الصَّدِيقُ المَدِينُ

ذَهَبَ رَجُلٌ إِلَى بَيْتِ صَدِيقٍ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَتَيْتَ لأَطْلُبَ مِنْكَ شَيْئًا. فَقَالَ الصَّدِيقُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا وَقَدْ حَانَ أَوَانَ تَسْدِيدِهِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُسَدِّدَهُ.

فَقَامَ صَدِيقُهُ، وَأَحْضَرَ الْمَالَ الَّذِي طَلَبَهُ وَزِيَادَةً. فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْمَالَ وَانْصَرَفَ وَهُوَ شَاكِرٌ وَسَعِيدٌ.

وَجَلَسَ الصَّدِيقُ حَزِينًا وَبَكَى بِشِدَّةٍ فَظَنَّتِ الزَّوْجَةُ أَنَّهُ يَبْكِي حُزْنًا عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَخَذَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَتْ لَهُ: لَقَدْ كَانَ فِي وِسْعِكَ أَنْ تَعْتَذِرَ لِصَدِيقِكَ، وَلاَ تُعْطِهِ مَالاً... بَدَلاً مِنْ أَنْ تَبْكِي حُزْنًا عَلَى مَا أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَالٍ...

فَقَالَ الزَّوْجُ: إِنَّنِي أَبْكِي ، لأَنِّي لَمْ أَسْأَلْ صَاحِبِي مِنْ قَبْلِ عَنْ حَالِهِ وَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ الدُّيُونُ، وَاسْتَدَانَ مِنْ غَيْرِي، ثُمَّ هَا هُوَ ذَا يَحْتَاجُ مَالاً لِيَسُدَّ دَيْنَهُ، وَيَطْلُبَ مِنِّي أَنْ أُقْرِضَهُ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلَى أَحْوَالِهِ، وَأُبَادِرُ أَنَا وَأُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي .

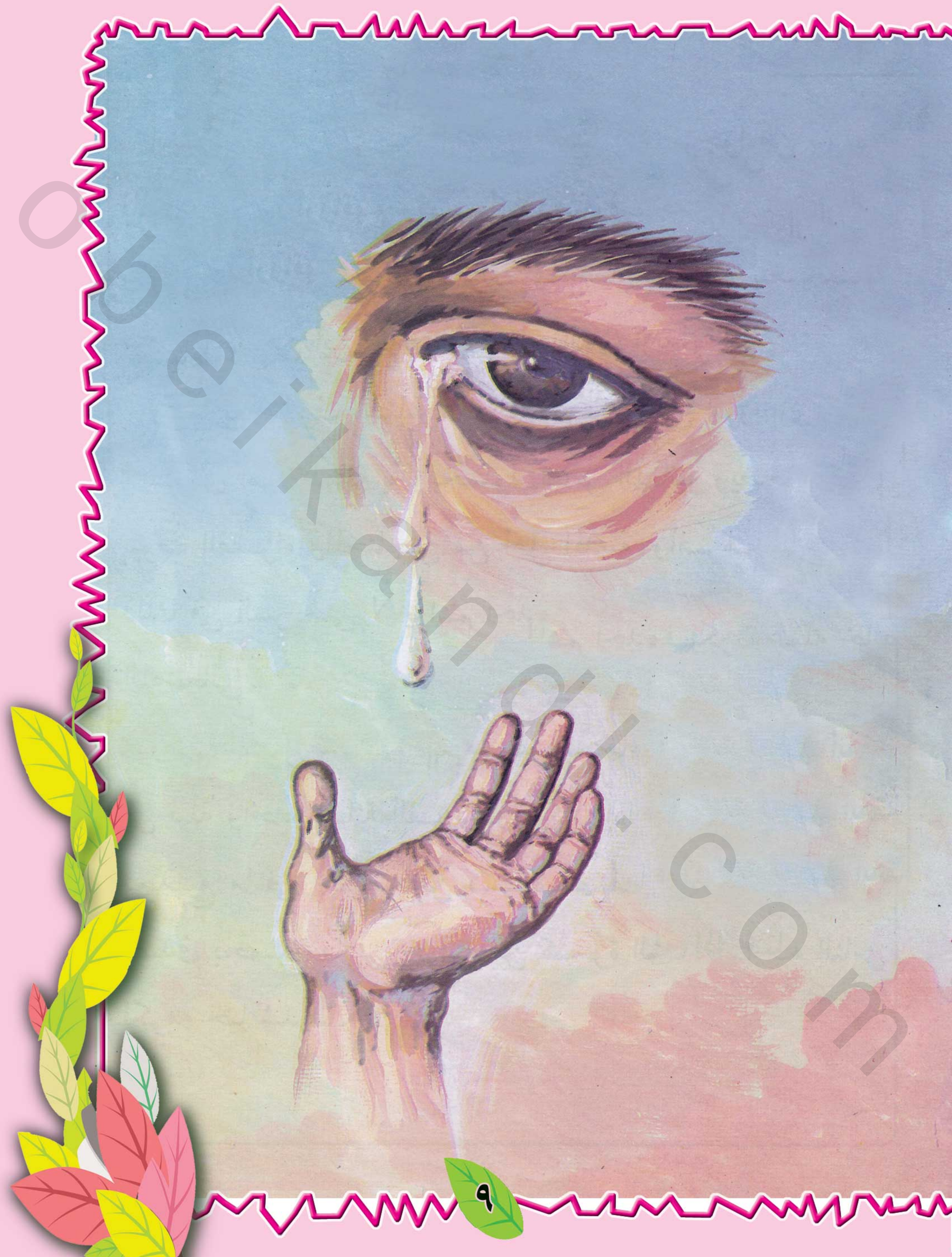

اللَّهُ أَكْـــرَمُ

سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عن أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وأقلهم مَنْزِلَةً؛ فقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ.. كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ".

ثُمَّ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ أَعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ". (أَيْ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَاخْتَرْتُهُمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ بَشَرٍ تَصَـــوُّرَ مَدَى مَا أَكْرَمْتُهُمْ بِهِ وَأَعْدَدْتُهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ).

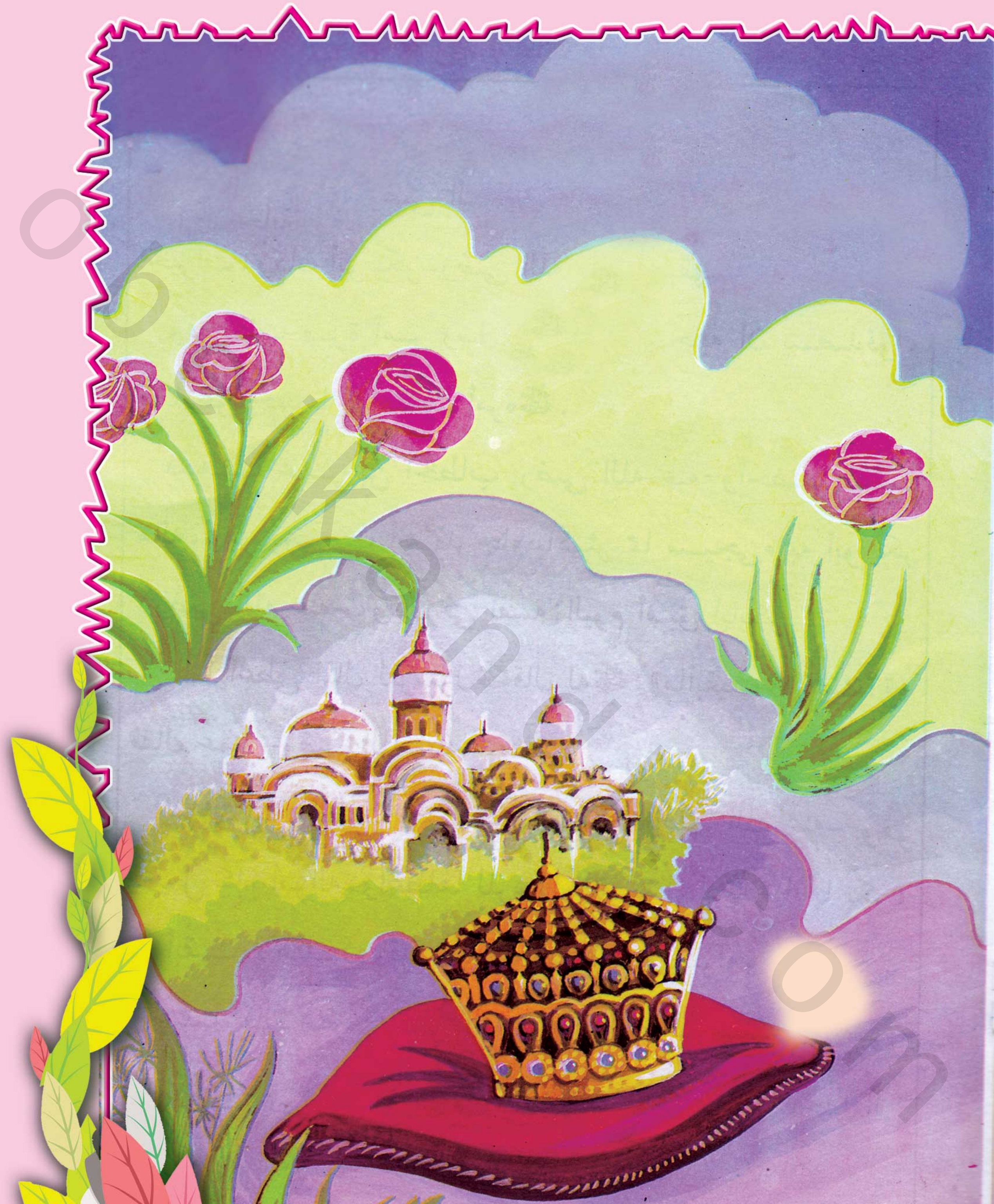

سِبَاقٌ إِلَى الخَيْرِ

كَانَ الصَّحَابَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – يَتَسَابَقُونَ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَسْبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ. وَذَاتَ مَرَّةٍ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا، فَسَارَعُوا جَمِيعًا إِلَى تَنْفِيذِ أَمْرِهِ.

فَذَهَبَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَأَحْضَرَ نِصْفَ مَالِهِ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ.

فَلَمَّا أَعْطَى الْمَالَ لِلرَّسُولِ قَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟". فَقَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: مِثْلَهُ.

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَهُوَ يَحْمِلُ كُلَّ أَمْوَالِهِ، وَأَعْطَاهَا للرَّسُولِ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَبَا بَكْرٍ... مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟". قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

عِنْدَئِذٍ قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. (يَقْصِدُ أَنْ أَبَا بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – مَا سَابَقَ أَحَدًا إِلَي خَيْرٍ إِلاَّ سَبَقَهُ).

نَخْلَةُ الجَنَّةِ

كَانَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ يَمْتَلِكُ بستانًا، وَكَانَ فِي هَذَا البُسْتَانِ نَخْلَةٌ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ آخَرَ. وَفِي يَوْمٍ ذَهَبَ الصَّحَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَوَسَّطَ لَهُ عِنْدَ صَاحِبِ النَّخْلَةِ لِيَتَنَازَلَ لَهُ عَنْهَا. فَأَرْسَلَ إِلَيْهُ وَقَالَ لَهُ: "أَعْطِهْ إِيَّاهَا بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ". فَرَفَضَ الرَّجُلُ.

فَلَمَّا عَلِمَ الصَّحَابِيُّ أَبُو الدِّحْدَاحِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – بِمَا حَدَثَ، ذَهَبَ إِلَى صَاحِبِ النَّخْلَةِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَ النَّخْلَةَ، عَلَى أَنْ يَعْطِيَهُ بُسْتَانَهُ ثَمَنًا لَهَا. فَوَافَقَ الرَّجُلُ.

وَذَهَبَ أَبُو الدِّحْدَاحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ اشْتَرَى النَّخْلَةَ، وَأَنَّهُ قَدْ وَهَبَهَا لَهُ؛ لِيُعْطِيَهَا لِصَاحِبِ البُسْتَانِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: "كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَّاحٍ لأَبِي الدِّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ". (أَيْ: مَا أَكْثَرُ النَّخْلِ العَظِيمِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لأَبِي الدِّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ؛ مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى مَا فَعَلَ).

وَعَادَ أَبُو الدِّحْدَاحِ إِلَى بُسْتَانِهِ وَنَادَى عَلَى زَوْجَتِهِ: يَا أُمَّ الدِّحْدَاحِ اُخْرُجِي مِنَ البُسْتَانِ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

كَرَمٌ فِي الخَفَاءِ

اسْتَيْقَظَ فُقَرَاءُ مَدِينَةِ بَغْدَادَ فِي الصَّبَاحِ، وَخَرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ للسَّعْيِ وَرَاءَ أَرْزَاقِهِمْ وَقُوتِ أَوْلَادِهِمْ، فَوَجَدُوا عَلَى أَعْتَابِ بُيُوتِهِمْ أَكْيَاسًا مَمْلُوءَةً بِالدَّنَانِيرِ، فَأَخَذُوهَا وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ: مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ؟ وَمَنْ الَّذِي أَرْسَلَهَا؟

وَفِيمَا بَعْدُ عَرِفَ النَّاسُ أَنَّ الفَضْلَ بنَ يَحْيَ الوَزِيرَ العَبَّاسِيَّ هُوَ الَّذِي أَمَرَ غِلْمَانَهُ بِأَنْ يَحْمِلُوا أَكْيَاسَ الدَّنَانِيرِ وَيَضَعُوهَا أَمَامَ بِيُوتِ الفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي السِّرِّ حَتَّى لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ.

وَكَانَ الفَضْلُ شَدِيدَ الكَرَمِ، يُنْفِقُ بِسَخَاءٍ حَتَّى بَلَغَ مَا أَنْفَقَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مَائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا فِي خَزَانَتِهِ مِنْ كِسْوَةِ الصَّيْفِ، وَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا فِي خَزَانَتِهِ مِنْ كِسْوَةِ الشِّتَاءِ، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ لِكَرَمِهِ حُبًّا شَدِيدًا.